الجامعة المستنصرية المرحلة الثانية/الدراسة الصباحية

كلية الآداب المادة : مناهج المفسرين

قسم اللغة العربية الدكتور إسماعيل عباس حسين

منهج تفسير القرآن بالقرآن (2)

يُعد منهج تفسير القرآن بالقرآن أول المناهج التفسيرية قاطبة وأقدمها وأرفعها شأناً ، فلا نكاد نجد مفسِّراً قد تنصل عنه ، حتى الذين اعتمدوا منهجاً خاصاً بعينه ، نراهم قد استفادوا من هذا المنهج في تفسيرهم .

ويُراد به أن تكون النصوص القرآنية بعضها مفسِّراً للبعض ، وإذا ما عرفنا أنّ التفسير هو الكشف عن معاني النص القرآني فإنه في ضوء هذا المنهج يكون النص القرآني المراد كشف معانيه مُنكشفاً ومُفسَّراً بنصٍ قرآني آخر ، فالقرآن يُفسّر بعضه بعضا ، قال تعالى :" وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ"(النحل 89) وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكل شيءٍ ولا يكون تبياناً لنفسه .

والقرآن الكريم وصف نفسه بأنه نور وأنه هدى وأنه تبيان ، فكيف يُتصور كتاب له مثل هذه الأوصاف ويكون مفتقراً إلى هادٍ غيره ومستنيراً بنور غيره ومُبيَّناً بأمر غيره ؟قال تعالى: " قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ "(المائدة 15) فهو الهدى والتبيان والفرقان والنور المبين للناس في جميع ما يحتاجون إليه .

فهذا المنهج يقوم على فكرة أن نفسِّر القرآن بالقرآن ، ونستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه في القرآن نفسه ، إذ قال تعالى : " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " (محمد 24) ونشخص المصاديق ونتعرف عليها بالخواص التي تعطيها الآيات .

ومن أجل فهم أيّ كلام لا بدَّ من مراعاة القرائن الموجودة فيه ، فإذا جاء أحد المطالب بصورة مطلقة وعامة ، وفي مكان آخر بصورة مقيدة وخاصة ، فلا بدَّ من النظر إلى الكلام بصورة كلية باعتباره مجموعة كاملة ، وهذه هي طريقة العقلاء في فهم أيّ كلام ، والقرآن الكريم غير مستثنى من هذه القاعدة وهذا الشيء نفسه الذي يُعرف باسم تفسير القرآن بالقرآن.